

وهاهنا سؤال مشهور وهو: **أَنَّ الْمَدْعُوَّ بِهِ إِنْ كَانَ قَدْ قَدَرَ لَهُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ بَدَأَ مِنْ وُقُوعِهِ - دَعَا بِهِ الْعَبْدُ أَوْ لَمْ يَدْعُ - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَدَرَ لَهُ لَمْ يَقَعْ - سِوَاءَ سَأَلَهُ الْعَبْدُ أَوْ لَمْ يَسْأَلْهُ - فَظَنَّتْ طَائِفَةٌ صِحَّةَ هَذَا السُّؤَالِ، فَتَرَكَتِ الدُّعَاءَ وَقَالَتْ: لَا فَايِدَةَ فِيهِ !! وَهُؤَلَاءِ مَعَ فَرْطِ جَهْلِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، مُتَنَاقِضُونَ فَإِنَّ طَرْدَ مَذْهَبِهِمْ يُوجِبُ تَعْطِيلَ جَمِيعِ الْأَسْبَابِ فَيُقَالُ لِأَحَدِهِمْ: إِنْ كَانَ الشَّبَعُ وَالرَّيُّ قَدْ قَدِرَا لَكَ فَلَابِدٍ مِنْ وُقُوعِهِمَا، أَكَلْتَ أَوْ لَمْ تَأْكُلْ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرَا لَمْ يَقَعَا أَكَلْتَ أَوْ لَمْ تَأْكُلْ، وَإِنْ كَانَ الْوَلَدُ قَدِرَ لَكَ فَلَابِدٍ مِنْهُ، وَطِنْتَ الزَّوْجَةَ أَوْ الْأُمَّةَ أَوْ لَمْ تَطَّأْ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ لَمْ يَكُنْ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى التَّزْوِيجِ وَالتَّسْرِي، وَهَلُمَّ جَرًّا. فَهَلْ يَقُولُ هَذَا عَاقِلٌ أَوْ أَدَمِيٌّ؟ بَلْ الْحَيَوَانَ الْبَهِيمَ مَفْطُورٌ عَلَى مُبَاشِرَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي بِهَا قِوَامُهُ وَحَيَاتُهُ، فَالْحَيَوَانَاتُ أَعْقَلُ وَأَفْهَمُ مِنْ هِؤَلَاءِ الَّذِينَ هُمْ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا.**

يقول الشيخ: **هَذَا نَمُودَجٌ مِنْ نَمَازِجِ الضَّلَالِ فِي قَضِيَّةِ الدُّعَاءِ - الْإِخْتِجَاجِ بِالْقَدْرِ لِمَنْعِ الدُّعَاءِ - . وَتَكَائِسِ بَعْضِهِمْ - إِدْعَى الْكَيْسُ وَالْفَطَانَةُ - وَقَالَ:**  
**الْإِسْتِعَالُ بِالدُّعَاءِ مِنْ بَابِ التَّعَبُّدِ الْمَحْضِ يُثْبِتُ اللَّهُ عَلَيْهِ الدَّاعِي، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي الْمَطْلُوبِ بِوَجْهِ مَا - أَيَّ عِبَادَةٍ أَمَرْنَا بِهَا وَكَلَّفْنَا بِهَا فَنَفَعَلَهَا تَعَبُّدًا دُونَ أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّ لَهَا تَأْثِيرًا فِي جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرِّ - . وَلَا فَرْقَ عِنْدَ هَذَا الْمُتَكَيِّسِ بَيْنَ الدُّعَاءِ وَالْإِمْسَاكِ عَنْهُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ فِي التَّأْثِيرِ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ، وَارْتِبَاطِ الدُّعَاءِ عِنْدَهُمْ بِهِ كَارْتِبَاطِ السُّكُوتِ وَلَا فَرْقَ - عِنْدَهُمْ الَّذِي يَسْكُتُ وَلَا يَتَكَلَّمُ مِثْلَ الَّذِي يَدْعُوا وَيَسْأَلُ الْحَاجَةَ فَكِلَاهُمَا الَّذِي دَعَا مُسْتَوٍ مَعَ الَّذِي لَمْ يَدْعُوا، لِمَازَا؟ لِأَنَّ الدُّعَاءَ مُجَرَّدُ عِبَادَةٍ فَقَطْ عِبَادَةٌ مَحْضَةٌ وَلَيْسَ لَهَا تَأْثِيرٌ فِعْلِيٌّ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ، فَارْتِبَاطُهُ عِنْدَهُمْ بِهِ - بِالنُّطْقِ - كَارْتِبَاطِ السُّكُوتِ وَلَا فَرْقَ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى أَكَيْسٍ مِنْ هِؤَلَاءِ: بَلْ الدُّعَاءُ عِلْمَةٌ مُجَرَّدَةٌ نَصَبَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَمَارَةً عَلَى قِضَاءِ الْحَاجَةِ، فَمَتَى وَفَقَ الْعَبْدُ لِلدُّعَاءِ كَانَ ذَلِكَ عِلْمَةً لَهُ وَأَمَارَةً عَلَى أَنْ حَاجَتَهُ قَدْ انْقَضَتْ، وَهَذَا كَمَا إِذَا رَأَيْتَ غَيْمًا أَسْوَدَ بَارِدًا فِي زَمَنِ الشِّتَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ وَعِلْمَةٌ عَلَى أَنَّهُ**

يُمْطَرُ وَإِذَا وَجِدَتْ نَفْسَكَ قَدْ دَعَوْتَ فَهَذِهِ عَلَامَةٌ عَلَى أَنَّ حَاجَتَكَ سَوْفَ تَقْضَى

قالوا : وهكذا حُكِمَ الطاعات مع الثواب ، والكُفْرَ والمعاصي مع العقاب ، هي أمارات محضة لوقوع الثواب والعقاب لا أنها أسباب له - أي ليس لها أي تأثير الطاعات أو المعاصي في حصول الثواب أو العقاب.

وهكذا عندهم الكسر مع الانكسار ، والحرق مع الإحراق ؛ فيه إشارة إلى المذهب الأشعري في قضية القدر ، فعندهم النار لا تحرق وليس لها أي تأثير في الإحراق ، وجود النار هو علامة على أنه في هذه اللحظة سوف تحصل عملية الإحراق - ، والإزهاق مع القتل ليس شيء من ذلك سببا البتة ، ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه إلا مجرد الاقتران العادي لا التأثير السببي وخالفوا بذلك الحس والعقل والشرع والفطرة وسائر طوائف العقلاء بل أضحكوا عليهم العقلاء .

والصواب أن هاهنا قسمًا ثالثًا ، غير ما ذكره السائل - أي كما ذكر الإمام ابن القيم بعض الناس ضلت لأنها ظنت صحة هذا السؤال ، والحقيقة أن السؤال يحتاج إلى تصحيح وهو في السؤال يقول ابن القيم : الْمَدْعُوُّ بِهِ إِنْ كَانَ قَدْرٌ لَمْ يَكُنْ بَدُّ مِنْهُ وَفُوعِهِ دَعَا بِهِ الْعَبْدُ أَمْ لَمْ يَدْعُو ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَدَّرَ لَمْ يَقَعْ سِوَاءَ سَأَلِهِ الْعَبْدُ أَمْ لَمْ يَسْأَلْ - ، وَهُوَ أَنَّ هَذَا الْمَقْدُورَ قَدَّرَ بِأَسْبَابٍ ، وَمِنْ أَسْبَابِهِ الدُّعَاءُ ، فَلَمْ يَقْدَرْ مُجَرَّدًا عَنْ سَبَبِهِ ، وَلَكِنَّ قَدْرَ سَبَبِهِ ، فَمَتَى أَتَى الْعَبْدُ بِالسَّبَبِ وَقَعَ الْمَقْدُورُ ، وَمَتَى لَمْ يَأْتِ بِالسَّبَبِ انْتَفَى الْمَقْدُورُ وَهَذَا كَمَا قَدَّرَ الشَّبَعُ وَالرِّيُّ بِالْأَكْلِ وَالشَّرْبُ وَقَدَّرَ الْوَلَدُ بِالْوَطْءِ .

صحيح الجوع قدر لكن أنت تحارب قدر الجوع بقدر الطعام و العطش قدر قدره الله عليك لكن أنت مطلوب أن تحارب قدر العطش بالري وهكذا وقد حصل الزرع بالبذر وقد خرج نفس الحيوان بذبحه وكذلك قدر دخول الجنة بالأعمال ودخول النار بالأعمال ، وهذا القسم هو الحق وهذا الذي حرمه السائل ولم يوفق له وحينئذ فالدعاء من أقوى الأسباب - **الدعاء له**

تأثير حقيقي بل هم من أقوى الأسباب في حصول المطلوب - فإِذَا قُدِّرَ وَفُوعُ  
الْمَدْعُوِّ بِهِ بِالْدُّعَاءِ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يُقَالَ لَا فَائِدَةَ فِي الدُّعَاءِ ، كَمَا لَا يُقَالَ لَا فَائِدَةَ  
فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَجَمِيعِ الْحَرَكَاتِ وَالْأَعْمَالِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْبَابِ  
أَنْفَعُ مِنَ الدُّعَاءِ ، وَلَا أَبْلَغُ فِي حُصُولِ الْمَطْلُوبِ .

ولما كان الصحابة - رضي الله عنهم - أعلم الأمة بالله ورسوله - صلى الله  
عليه وسلم - وأفقههم في دينه ، كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من  
غيرهم .

وكان عمر - رضي الله عنه - يستنصرُ به على عدوه ، وكان أعظم جنده ،  
وكان يقول لأصحابه : لستم تنصرون بكثرة وإنما تنصرون من السماء ،  
وكان يقول : إني لا أحمل هم الإجابة ، ولكن هم الدعاء ، فإِذَا أُلْهِمْتُمْ الدُّعَاءَ  
، فَإِنَّ الإِجَابَةَ مَعَهُ - فإِذَا وَفَّقَكَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيَّ أَنْ تَدْعُوهُ وَفَتَحَ لَكَ  
بَابَ التَّذَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَطَلَبَ الدُّعَاءَ مِنْهُ اطمئن ! فإن الله سوف يقبل دعاءك ،  
لكن في الحقيقة هذه فضل من الله ليفتح عليك حتى تدعوه .

إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا ( يقول النبي ﷺ  
1(صَفْرًا خَائِبَتَيْنِ ِ

أي لا يمكن لإنسان أن يرفع يديه لله سبحانه وتعالى ثم يتركهما ويعيدهما  
وينزلهما وهما خاليتان من فضل الله ومن كرمه سبحانه وتعالى ، فكن واثقاً  
أنك متى رفعت يديك إلى الله لا بد أن يملأهما خيراً ، لأن الله كريم جواد  
حيي يستحي من العبد أن يرد يديه صفرًا خائبتين وقد قصده .

وأخذ الشاعر هذا المعنى فنظمه فقال :

لَوْ لَمْ تَرُدْ نَيْلَ مَا أَرْجُو وَأَطْلُبُهُ . . . مِنْ جُودِ كَفَّيْكَ مَا عَلَّمْتَنِي الطَّلْبَا

فمن الذي علمنا الدعاء ؟ الله سبحانه وتعالى ، فلولا أن الله يريد أن يعطينا  
خيرًا لما علمنا أن نسأله هذا الخير عن طريق الدعاء ، يُيسر لليسرى وأن

الله يريد به خيرًا إذا فتح عليه في الدعاء ، والدليل على ذلك ، الواقع واقع الناس ، لا شك أن كثير من الناس يعرفون أن الدعاء سبب عظيم جدًا من أسباب حصول المنافع ودفع المضار ومع ذلك لا يُفتح عليهم في هذا الباب ، فهي محض توفيق من الله سبحانه وتعالى لا بجهده هو ولا بكسبه لكن توفيق ، رغم ملايين الناس يعرفون أن الدعاء مؤثر ومع ذلك لا يدعون ، **من الذي حال بينهم وبين الدعاء ؟** فُدرة الله عز وجل ، فإذا الدعاء اصطفاء فإذا وجدت نفسك قد فتح الله عليك أن ترفع يدك بين وقت وآخر تسأل الله وتطلب منه عز وجل ، اعلم أن هذه علامة أن الله يريد بك الخير ، وأنه يوفئك ، ويفتح عليك ، كي يجيب طلبك ويحقق دعائك - ، فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة ، لأن الله تكفل وضمن "قال: { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [سورة غافر : ٦٠] فمتى ما دعوت أستجاب الله لكم ، وقال عز وجل: { إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } [البقرة:186]

- وهذه الآية في الحقيقة إذا تأملت القرآن

تجد الآيات { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۗ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاغْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۗ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۗ } [البقرة:222]

{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ۗ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ } [البقرة:189]  
 { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۗ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۗ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ { [البقرة:217] ، { وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۗ } [البقرة:127]

يَسْأَلُونَكَ عَنِ كَذَا؟ يَسْأَلُونَكَ عَنِ كَذَا؟ قل كذا ، ما عدا في هذا الباب باب الدعاء فلم ينتظر عز وجل من العباد أن يسألوا عن الدعاء ، إنما بادر هو { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } [البقرة:186] لم يقل: فقل إني قريب! بل فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي .. "

سبحان الله ! من الذي يستجيب للآخر !؟

انظر إلى الكرم ! الله يقول لك استجب لي اسألني ، فاستجب لهذا الطلب واشتغل بدعائي ، فأى كرم أعظم من هذا الكرم من الله سبحانه وتعالى "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون" -

وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم **2. (مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ) :** عليه وسلم

وهذا يدل على أن رضاه في سؤاله ودُعائه، وإذا رضي الرب تبارك وتعالى فكل خير في رضاه - أي من لم يسأل الله يغضب عليه : هذا منطوق ، مفهوم الحديث : أن من سأله رضي عنه فمن رضي الله عنه هل يخيب؟!

وقد ذكر الإمام أحمد في كتاب الزهد أثرًا (أَنَا اللَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، إِذَا رَضِيَتْ بَارَكْتَ ، وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي مُنْتَهَى وَإِذَا غَضِبْتَ لُعِنْتَ ، وَلِعْنَتِي تَبْلُغُ أَسْبَابَ مِنَ الْوَالِدِ) .

(وَقَدْ دَلَّ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ وَالْفِطْرَةُ وَتَجَارِبُ الْأُمَمِ - عَلَى إختلافِ أجناسِها ومَلَلِها ونَحْلِها - عَلَى أَنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ ، وَالْبِرُّ وَالْإِحْسَانُ إِلَى خُلُقِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِكُلِّ خَيْرٍ ، وَأَضْدَادُهَا مِنْ أَكْبَرِ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِكُلِّ شَرٍّ ، فَمَا اسْتَجَلَبْتَ نَعَمَ اللَّهِ ، وَاسْتَدْفَعْتَ نِقْمَتَهُ ، بِمِثْلِ طَاعَتِهِ ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى خُلُقِهِ) .

(وَقَدْ رَتَّبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حُصُولَ الْخَيْرَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَحُصُولَ الشُّرُورِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي كِتَابِهِ عَلَى الْأَعْمَالِ ، تَرْتَّبَ الْجَزَاءُ عَلَى الشَّرْطِ ، وَالْمَعْلُولُ عَلَى الْعِلَّةِ ، وَالْمُسَبَّبُ عَلَى السَّبَبِ ، وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ يَزِيدُ عَلَى أَلْفِ مَوْضِعٍ ) فتارةً يُرتب الحكم الخبري الكوني والأمر الشرعي على الوصف المناسب له كقوله تعالى: { فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيِينَ } [سورة الأعراف: ١٦٦] .

الراوي: أبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي | الصفحة أو الرقم: 3373 | خلاصة حكم المحدث: حسن | التخریج: 2 (9719) أخرجه الترمذي (3373) واللفظ له، وابن ماجه (3827)، وأحمد

- فيفهم من هذا أن هذه العقوبة كانت بسبب العتو وارتكاب ما نهى الله عنه -  
وقوله: { فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } [سورة الزخرف: ٥٥]

وقوله: { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [المائدة: 38].

وقوله: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ  
وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ  
وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ  
وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا  
عَظِيمًا } [الأحزاب: ٣٥] يدل على أن هذا الجزاء بسبب الأعمال وأن  
الأعمال كان لها تأثير أو لم يكن لها تأثير؟ كان لها تأثير بدليل تعدد الصفات  
التي استوجبت لهم هذا الجزاء وهذا كثير جدا .

وتارة يرتبه عليه بصيغة الشرط والجزاء كقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو  
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [سورة الأنفال: ٢٩] هذا دليل على أن التقوي سبب من  
أسباب حصول هذا الثواب -

وقوله: { فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفِصِلُ  
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [التوبة: 11]

وقوله: { وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً غَدَقًا } [سورة الجن:  
١٦] . ونظائره .

وتارة يأتي بلام التعليل كقوله: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ  
وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } [سورة ص: ٢٩] .

وقوله: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ  
الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ } [سورة البقرة: ١٤٣] .



وتارة يأتي بأداة كي التي للتعليل كقوله: { كَي لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ } [سورة الحشر: ٧٧] .

وتارة يأتي بباء السببية، كقوله تعالى { ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } [سورة آل عمران: ١٨٢] .

وقوله: { وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [سورة المائدة: ١٠٥] .

وقوله: { ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ } [يونس: 52]، وقوله: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ } ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } [سورة آل عمران: ١١٢] .

وتارة يأتي بالمفعول لأجله ظاهراً أو محذوفاً، كقوله: { فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى } [سورة البقرة: ٢٨٢] .

وكقوله تعالى: { أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } [سورة الأعراف: ١٧٢] وقوله: { أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ } [سورة الأنعام: ١٥٦] ، أي: كراهة أن تقولوا ذلك.

وتارة يأتي بفاء السببية كقوله: { فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا } [سورة الشمس: ١٤] . -يدل على أن العقاب الذي نزل بهم كان بسبب ما فعلوا -

وقوله: { فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً } [سورة الحاقة: ١٠] .

وقوله: { فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ } [المؤمنون: ٤٨] .

وتارة يأتي بأداة [لما] الدالة على الجزاء، كقوله: { فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } [سورة الزخرف: ٥٥] ونظائره .

وتارة يأتي بان وما عملت فيه، كقوله: { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } [سورة الأنبياء: ٩٠] . - دال على أن المسارعة في الخيرات سبب في هذا الثواب الذي حصلوه -

وقوله في ضوء هؤلاء: { وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } [الأنبياء: ٧٧] .

وتارة يأتي بأداة " لولا "، الدالة على ارتباط ما قبلها بما بعدها، كقوله: { فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } [سورة الصافات: ١٤٣ - ١٤٤] .

وتارة يأتي بـ" لو " الدالة على الشرط كقوله: { وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا } [سورة النساء: ٦٦] - إذا العقل والنقل والفطرة وكل شيء يدل على أن ارتباط الأسباب بالمسببات ، وأن السبيل له تأثير بالفعل بجانب إيماننا بالقدر

يقول: (وَبِالْجُمْلَةِ فَالْقُرْآنُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ صَرِيحٌ فِي تَرْتِيبِ الْجَزَاءِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالْأَحْكَامِ الْكُونِيَّةِ وَالْأَمْرِيَّةِ عَلَى الْأَسْبَابِ ، بَلْ تَرْتِيبُ أَحْكَامِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَصَالِحِهِمَا وَمَفَاسِدِهِمَا عَلَى الْأَسْبَابِ وَالْأَعْمَالِ ، وَمِنْ تَفَقُّهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَتَأْمُلِهَا حَقَّ التَّأْمُلِ انْتَفَعَ بِهَا غَايَةُ النِّفَعِ ، وَلَمْ يَتَّكِلْ عَلَى الْقَدْرِ جَهْلًا مِنْهُ ، وَعَجْزًا وَتَفْرِيطًا وَإِضَاعَةً ، فَيَكُونُ تَوَكُّلُهُ عَجْزًا ، وَعَجْزُهُ تَوَكُّلًا ، بَلْ الْفَقِيهَ كُلُّ الْفَقِيهِ الَّذِي يَرُدُّ الْقَدْرَ بِالْقَدْرِ ، وَيَدْفَعُ الْقَدْرَ بِالْقَدْرِ ، وَيُعَارِضُ الْقَدْرَ بِالْقَدْرِ ، بَلْ لَا يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعِيشَ إِلَّا بِذَلِكَ ، فَإِنَّ الْجُوعَ وَالْعَطَشَ وَالْبُرْدَ وَأَنْوَاعَ الْمَخَافِ وَالْمَحَازِيرِ هِيَ مِنَ الْقَدْرِ ، وَالْخُلُقُ كُلُّهُمْ سَاهُونَ فِي دَفْعِ هَذَا الْقَدْرِ بِالْقَدْرِ ، - هُنَاكَ بَعْضُ الْفَرْقِ أَمَعْنَتْ فِي الْإِنْحِرَافِ فِي هَذَا الضَّلَالِ تَدْعِي الْبَرْمَاوِيَّةَ - يُقَالُ لَهُ : إِذَا نَزَلَتْ عَلَيْكَ النَّامُوسُ تَدْفَعُهُ ، يَقُولُ : لَا هَذَا بِقَدْرِ اللَّهِ ، يُحَرِّمُونَ الْعَمَلَ ، يُحَرِّمُونَ قَتْلَ أَيِّ حَشْرَةٍ مِنَ الْحَشْرَاتِ ، عِنْدَهُمْ إِفْرَاطٌ شَدِيدٌ فِي هَذَا الْجَانِبِ لِذَلِكَ تَرَى مِنْهُمْ الْعَجَبُ الْعَجَابُ وَالضَّلَالُ الْمُبِينُ فِي قَضِيَّةِ الْقَدْرِ بِسَبَبِ انْحِرَافِهِمْ . ) .



قضية القدر كما ذكرنا من قبل بالتفصيل تحت القضاء والقدر ، **أَلْقَدَرَ إِذَا كَانَ حُجَّةً لِأَحَدٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ حُجَّةً لِكُلِّ أَحَدٍ** ، أي لا تجعل القدر حجة لك أنت فقط ، " كما جاء السارق إلي عمر رضي الله عنه وقال له : " يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا سُرِقْتُ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ - أَلَيْسَ مَكْتُوبًا عَلَيَّ أَنْ أُسْرِقَ أَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ بِقَدْرِ - فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : وَأَنَا أَفْطَعُ يَدَكَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ " ، الاحتكام للقدر لإبطال الشرع هذا شأن المشركين { **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ۗ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** } [الأنعام:148] هم لا يقولون ذلك كما يفعل المؤمنون الذين يثبتون القدر لكن لا يحتجون به في إبطال الشرع ، إن قلت له : صلِّ ، يقول : عندما يهديني الله ، أليس قد أمرك الله بالصلاة ، فهو يستعمل الإيمان بالقدر في تعطيل الشرع والأوامر الشرعية ، فهذا من الانحراف وسبق الكلام في ذلك بالتفصيل.

يقول ابن القيم : ( وَهَكَذَا مِنْ وَفَقَهُ اللَّهُ وَالْهَمَّهُ رُشْدُهُ يَدْفَعُ قَدَرَ الْعُفُوبَةِ الْأَخْرَوِيَّةِ بِقَدْرِ التَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، فَهَذَا وَرَازِ الْقَدَرَ الْمُخَوِّفِ فِي الدُّنْيَا وَمَا يُضَادُّهُ سَوَاءً ، فَرَبُّ الدَّارَيْنِ وَاحِدٌ وَحِكْمَتُهُ وَاحِدَةٌ لَا يُنَاقِضُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَلَا يُبْطِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا ) أي بعض الناس إذا كلمته في طاعة الله تبارك وتعالى يحتج أيضا بالقدر فإذا قلت له بشيء يمس الدنيا كأن أقول له: اجلس في بيتك ولا تخرج للعمل لا تكذب ولا تتعب لأن الأمر كله بقدر ، فتجده ينطلق بسرعة الصاروخ ويقول لك : لا بل كل شيء بسبب فرينا مسبب الأسباب ، مع أن الرزق مضمون لأن الله تبارك وتعالى قال : { **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۗ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** } [هود:6] ، لكن النجاة في الآخرة غير مضمونة؛ قال الله عز وجل { **وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى \* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى \* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى** } [النجم:39-41]

وإن صح هذا المبدأ فإن السعي للآخرة أولي، لماذا؟ لأن الرزق في الدنيا مضمون { **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** } [الذاريات:22] وليس للإنسان في الآخرة إلا ما سعى إليه وعمله - الشاهد- يقولون لك: ربنا كريم ! واليقين

أن كريم الدنيا هو كريم الآخرة، فإذا كنت لا تقدم الأعمال الصالحة وتستمر في المعاصي وتقول ربي كريم، فلك أن تفعلها أيضاً في الدنيا فلا تسعى ولا تأكل ولا تشرب وقل: ربي كريم، الله سبحانه وتعالى مسبب الأسباب وأفعاله واحدة لا تناقض بعضها البعض، فَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أَشْرَفِ الْمَسَائِلِ لِمَنْ عُرِفَ قَدْرَهَا وَرَعَاهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُو بِهِمْ لِأَعْوَابِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا ( تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا ، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا ، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّمْنَا ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا ( يَرْحَمُنَا )<sup>3</sup>

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ َ

مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثَرَ فِيهِ لَغَطُهُ ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ ( : كَمَا قَالَ ﷺ )  
مَجْلِسِهِ ذَلِكَ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ (وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ َ)<sup>4</sup>

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وإلى لقاء قريب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

<sup>3</sup> " رواه الترمذي (رقم/3502) وقال: حسن غريب. وصححه الألباني في " صحيح الترمذي

الراوي: أبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الترمذي<sup>4</sup>

الصفحة أو الرقم: 3433 | خلاصة حكم المحدث: صحيح

التخريج: أخرجه الترمذي (3433) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (10230)، وأحمد (10415) باختلاف يسير

